الأنس بالقرآن يعزز الإيمان ويضاعف التوكّل على الله

المكان: طهران . حسينية الإمام الخميني (ره)

المناسبة: الجلسة القرآنية السنوية في مستهل شهر رمضان

الحضور: جمع غفير من الأساتذة وقراء وحفاظ القرآن الكريم

الزمان: ١٣٩٣/٤/٨ش. ١٤٣٥/٩/١هـ. ٢٠١٤/٠٦/٢٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على رسوله وآله الميامين.

نشكر الله تعالى أن منّ علينا بالعمر والتوفيق لنستطيع بدء شهر رمضان المبارك لهذه السنة أيضاً بهذه الجلسة القرآنية المنوّرة. أرحب بكم جميعاً أيها القرّاء والحفاظ المحترمون وحملة القرآن الأعزاء، وخصوصاً الإخوة الذين قدّموا برامجهم وعريف الجلسة المحترم. حشركم الله جميعاً في الدنيا والآخرة ضمن حملة القرآن وأصحابه إن شاء الله.

العمل الذي يقوم به حملة القرآن الكريم في بلادنا اليوم هو باعتقادي عمل استراتيجي مهم. صحيح أن صحبة القرآن من شأنها أن تسبب ارتفاع درجات نفس الشخص الذي يتلو القرآن ويصاحبه ويأنس به، وتعمّق معارفه الدينية – هذا شيء محفوظ في محله، أي الفيض والزلال الذي تحظون به أنتم أنفسكم مقرئي القرآن الكريم. هذا مكسب مهم في مكانه – ولكن وراء هذا المكسب هناك مكسب آخر أوسع دائرة، وهو تقريب المجتمع الإسلامي إلى فهم القرآن الكريم والأنس به والاقتراب إلى القرآن. وهذا شيء على جانب كبير من الأهمية. الواقع أن مجتمعنا القرآني والقرّاء والحفاظ والمرتلون وباقي الذين يعملون ويجدّون في هذا السبيل يقومون اليوم بحركة استراتيجية ومهمة للغاية. وهذا ما ينبغي معرفة قدره وأهميته.

الحقيقة أن المجتمع القرآني شهد في غضون هذه الأعوام القليلة تطوراً وتقدماً كبيراً ولله الحمد. إننا نقيم هذه الجلسة مرة واحدة في السنة وعلى مدى أعوام طويلة، وأنا ألاحظ التقدم المحسوس للأنس بالقرآن وصحبته وتلاوته بين الناس والشباب ومحبّي القرآن الكريم في بلادنا، وأشاهد انتشار هذه المعاني بشكل مطرد. هذا شيء يستحق الشكر والحمد لله، بيد أن المسافة التي تفصلنا عن الوضع المنشود لا تزال كبيرة. لا بمعنى أن مستوى قرّائنا شخصياً أو نوعياً أو بمجموعهم لا يزال دون المستوى المنشود، لا، ليس هذا هو القصد – فالحمد لله لدينا قرّاء جيدون يتسنّمون مستويات عالية من حيث تلاوة القرآن الكريم والترتيل ومن حيث الأصوات والألحان ومن حيث الاهتمام بالمعنى وكيفية التلاوة بشكل يحيي معاني القرآن الكريم للمستمع.

لقد كانت التطورات من هذه النواحي تطورات جيدة جداً والحمد لله – ولكن ليس الأمر بالمستوى المطلوب والمحبّذ على صعيد المجتمع، إذ لا نزال دون الحد المنشود ولا تزال المسافة التي تفصلنا عن المحطات المأمولة كبيرة. ينبغي اتخاذ تدابير في بلادنا وفي أوساط مجتمعنا لكي يكون كل أبناء مجتمعنا مأنوسين بالقرآن مصاحبين له بشكل من الأشكال، وتكون المفاهيم القرآنية مفهومة بالنسبة لهم بحيث يدركونها ويعلمونها ويستطيعون مراجعة القرآن فيفهمون معانيه ولو على نحو الإجمال. ينبغي أن نصل إلى هذه المحطة. في البلدان التي تتكلم العربية يصلون إلى هذه المرحلة بسهولة أكبر، وفي بلادنا حيث ليست هناك لغة عربية نصل إلى مثل هذه المرحلة بصعوبة أكبر، ولكن لحسن الحظ – وقد قلت هذا مراراً – فإن الكلمات القرآنية كلمات معروفة لدينا، ومعرفة معانيها ليس بالأمر العسير على أبناء شعبنا، ويمكن بمقدار من الأنس والمصاحبة والممارسة تحقيق الحالة المنشودة في المجتمع إن شاء الله.

وأنتم أيها الإخوة الأعزاء لاحظوا أن النظام الإسلامي والمجتمع الإسلامي يزداد قوة ومتانة داخلية عبر المزيد من صحبة القرآن الكريم والأنس به. والمتانة الداخلية هي ذلك الشيء الذي تمدّ المجتمعات، وهي تسير في دروبها المنشودة ونحو أهدافها المأمولة، بالقدرة على مواجهة العقبات والتحديات. ينبغي أن نكون أقوياء في داخلنا، وهذه المتانة والرصانة الداخلية تحصل ببركة الأنس بالقرآن الكريم. الأنس بالقرآن يعزز الإيمان ويضاعف التوكّل على الله، ويزيد من الثقة بالوعود الإلهية، ويقلل الخوف والفزع من المشكلات المادية في نفس الإنسان.. إنه يقوّي الأشخاص روحياً ويمنحهم الثقة بالنفس، وينير لهم سبل التقرب إلى الله. هذه هي فوائد ومنافع الأنس بالقرآن وصحبته في هذا الجانب.

القرآن كتاب معرفة.. كتاب نور.. «وَمَا جَالَسَ هَذَا القُرآنَ اَحَدٌ اِلّا قَامَ عَنْهُ بِزِيادَة اَو نُقصَانٍ، زِيادَةٍ في هُدًى أو نقصانٍ في عمىً»(١). هذه كلمة تنسب إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). أي إن ضلال الإنسان يقل وهدايته ووعيه يزدادان. هكذا هي صحبة القرآن والأنس به. وهذا طبعاً يحصل بالتدبّر في القرآن والتدقيق في معانيه. ينبغي قراءة القرآن بتدبّر وتوجّه وتركيز. يجب أن لا ننسى أن مجرد تشكيل هذه الأصوات ليس هو المأمول والمقصود. يتعيّن قراءة القرآن بالتنبّه لمعانيه ومقاصده. إذا كان هذا فسوف يجد المجتمع الإسلامي طريقه الصواب. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٢). يخرج الإنسان من ظلمات الخرافات والضلال والخوف والأوهام إلى نور الهداية والمعرفة والتقرّب إلى الخالق والأنس بالمعبود. هذه خصوصيات تتحقق للمرء عن طريق مجالسة القرآن الكريم والأنس به، وهذا ما نحتاج إليه. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة لهذا الشيء. المجتمع الإسلامي يواجه اليوم

تحديات جدية، وقد قلنا مراراً إن التركيز على التحديات لا يعني أن نشعر بأن العدو قويّ وسوف ينتصر علينا. ليس الأمر من هذا القبيل. المجتمع الإسلامي يواجه مشكلات وتحديات ومواجهة التحديات فرصة ليستطيع الإسلام أن يتقدم في مسيرته التاريخية نحو العلاء المنشود خطوة أخرى أو مرحلة أخرى إلى الأمام إن شاء الله. هكذا هو الوضع اليوم. في المراحل التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية وسبقت الصحوة الإسلامية كنا نرى العالم الإسلامي يغرق في غفلة وسبات، والعالم الإسلامي اليوم واع يقظ. والأحداث التي تجري في العالم الإسلامي تساعد على زيادة وعي الأمة الإسلامية. إنها تزيدنا وعياً وتنويراً ويقظة وتعرّفنا بواجباتنا أكثر. أعداء الإسلام يخافون من بصيرة المؤمنين والأمة الإسلامية. علينا تعزيز هذه البصيرة يوماً بعد يوم. والمرحلة الأولى في ذلك أن نتعرّف على هذه التحديات.

ما يلاحظ في العالم الإسلامي هو أن أعداء الإسلام يحاربون الإسلام باسم الإسلام. وهذا ما عبّر عنه إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله تعالى عليه) بالإسلام الأمريكي في مقابل الإسلام المحمدي الأصيل(٣). الإسلام الأمريكي هو الإسلام الذي يتحالف مع الطاغوت، وينسجم مع الصهيونية، ويعمل لخدمة الأهداف الأمريكية، وظاهره الإسلام، واسمه الإسلام، وقد يؤدّي بعض المراسم الإسلامية، مع أنه حسب ما يسمعه المرء – وليست لدينا معلومات دقيقة جداً – فإن الذين يظهرون باسم الإسلام بشكل جدّ متعصب في بعض البلدان – في العراق مؤخراً وفي أماكن أخرى قبل ذلك – ليسوا ملتزمين بالأحكام والشرائع الدينية والواجبات الدينية الشخصية كما ينبغي، ولكن القدر المتيقن منه هو أن مسيرتهم العامة تتعاكس مع الإسلام مائة وثمانين درجة. لقد اعتبر الإسلام أن مواكبة أعداء الدين وولاية أعداء الدين وولاية المستكبرين من الأمور التي ينبغي للمؤمن اجتنابها: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾(٤). إذا سرتم باسم الإسلام على درب الطاغوت فاعلموا أن هذا الإسلام ليس إسلاماً صحيحاً حقيقياً، وأن هناك خللاً في أمركم. وهكذا هو الحال اليوم. طبعاً بمستطاع المرء أن يشاهد أيدي الأعداء وأصابعهم، وينبغي التيقن من أن الأيدي الخبيثة للأجهزة الأمنية والتجسسية للأنظمة المعادية للإسلام لها دورها – بشكل مباشر أو غير مباشر – في مثل هذه الأمور والأحداث والقلاقل والويلات التي تنزل بالمسلمين. إنهم هم الذين يديرون هذه المشاهد، وهذا ما يمكن للمرء ملاحظته، وهناك علامات ومؤشرات ودلائل واضحة تشير لذلك. إذا أنست الأمة الإسلامية بمعارف القرآن أكثر فإن مثل هذه الأحداث ستقل وتنحسر. الارتباط والاتصال بالله يمنع من أن تميل القلوب إلى خيانة سبيل الله. ونتمنى أن يحصل هذا.

أنتم الشباب القرآني والذين تنفقون شبابكم وسنوات عمركم وطاقاتكم في سبيل القرآن الكريم كونوا شاكرين لله على ذلك، فهذا توفيق كبير أن يمنّ الله تعالى على الشباب والأحداث بأن يأنسوا بالقرآن ويختاروا طريق القرآن. لم يكن مثل هذا الشيء في العهود الماضية، فالقرآن لم يكن شيئاً شائعاً بين الشباب ولم يكن يُروّج له، واليوم ولله الحمد يُروّج بين الشباب، وأنتم من أسباب هذا الترويج والمؤثرين فيه، فاعرفوا قدر ذلك.

وعلى الإخوة الذين ينشطون في المجالات القرآنية أن يحاولوا التأثير بأعمالهم أيضاً «كونوا دُعاةَ النّاسِ بِغَيرِ اَلسِنَتِكم»(٥). يجب أن يثبتوا أنهم أفراد مميزون من حيث الالتزام بالضوابط والتعاليم الدينية. ليثبتوا هذا وليظهروا هكذا حتى يظهر تأثير القرآن على سلوكهم وأعمالهم ومنهجهم العام في الحياة وبواطنهم وظواهرهم.. يجب أن تكون الظواهر ظواهر إسلامية، وكيفية التعامل يجب أن تكون إسلامية. ينبغي عليهم مراعاة هذه الأمور. ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(٦). ليظهر الإخوة من حملة القرآن الكريم علامات ذلك على أنفسهم. ما تفعلونه – والعلامة القرآنية اليوم علامة باعثة على الفخر والاعتزاز والحمد لله – يمكن أن يكون نموذجاً وقدوة للشباب والأحداث ولمستمعيكم، فيتعلمون منكم. حاولوا أن يتعلموا منكم ما يوجب تقرّبهم إلى الله.

اللهم نقسم عليك بحق محمد وآل محمد، أحينا بالقرآن، واجعلنا ممن يجالسون القرآن، وأحينا في سبيل القرآن، وأمتنا على سبيل القرآن، واحشرنا مع القرآن، وأجعل القرآن راضياً عنا. اللهم نقسم عليك بحق محمد وآل محمد، ابعث من هذه الجلسة ومن هذه البرامج والنشاطات ومن هذه التلاوات هدية قيمة للروح الطاهرة لإمامنا الخميني الجليل وأرواح الشهداء المطهرة. ربنا بمحمد وآل محمد، ثبّت أقدامنا على طريق الإسلام وعلى طريق القرآن وعلى درب الشهداء والمجاهدين في سبيل الحق.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ – نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٦ .

٢ – سورة البقرة، شطر من الآية: ٢٥٧ .

٣ – من ذلك: صحيفة الإمام، ج ٢١ ، ص ١٢٠ .

٤ – سورة النساء، شطر من الآية: ٧٦ .

٥ – بحار الأنوار، ج ٦٧ ، ص ٣٠٩ .

٦ – سورة الأنفال، شطر من الآية: ٢ .